من تراب الطريق (٣٠٧)

الكبائر والأغراض الصغيرة! (*)

معظم أعمال البشر ، تحركها وتدفعها وتوجهها أغراض .. هذه الأغراض قد تكون مبصرة وقد تكون عمياءُ ضريرة .. وقد تكون حكيمة وقد لا تكون .. معقولة أو غير معقولة .. هامة أو هامشية .. مفيدة أو ضارة .. وغالبا ما يقترن السعى إلى هذه الأغراض بوزن ما يقابلها فى موازين الحساب ورصيد الأرباح والخسائر ، أو المنافع و لمضار .. ولا يغفل هذه الموازنة إلاَّ أحمق أعيته حماقته دون أن يعيها أو يرصدها أو يطلب لها علاجًا !!

وكثيرا ما نرتكب كبائر بلا هدف ، أو ننزلق إليها سعيًا أو طلبا لصغائر لا تبررها ناهيك عن أن تخرجها من دائرة الإثم والتأثيم !! حينذاك تكون الكبيرة مفرد الكبائر بلا أى رصيد يبررها أو يغفر الوقوع فيها إن كان له غفران ، وتتضاعف الحماقة حين تكون «الكبيرة» بالغة الإثم ،والحماقة غير قابلة للغفران !!

قذف الناس ، آحاد الناس ، وسبهم سلوك مجرم معاقب عليه فى القانون ، لا يعفى الجانى أو يقيله من جرمه أن يكون ناقلا فيما قذف به عن غيره .. فتكرار السب سب ، وتكرار القذف قذف ، لأن التكرار

(*) المال٦/ ٨/ ٢٠٠٩

ينطوى فى كل مرة على جديد ينال من شرف وكرامة واعتبار المجنى عليه فى الدائرة العلنية الجديدة التى لا تطابق سابقتها .. فيتضاعف ويتراكب الضرر ، وتزداد مخاطر الانفلات الذى لا يبالى بكرامات وأقدار الناس ، ناهيك بالأئمة أو عظماء التاريخ أو رموز الأديان !

دهمنى فى الأسبوع المنصرم عنوان صافع مقذع على غلاف إحدى مجلاتنا القومية ، يصم الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، بوصمة هائلة تدخل فى عداد الكبائر غير المغفورة ، تنعته بكلمة فاحشة لا أستطيع أن أكرر لفظها وإلاَّ وقعت فيما وقعت فيه المجلة الأسبوعية القومية ، متصورة أنه يمكن التوارى وراء المنقول عنه الذى وصفته بأنه «شيعى دجال» !!

وهذا الاقتران فى نعت المنقول عنه ، ينطوى على خلط وتخليط .. فالدجال إن كان حسبه أن يكون دجالًا ينعت بالدجل ، ولكن هذا النعت لا يجوز أن يتعداه إلى سواه .. فلا يقال المسلم الدجال ، أو السنى الدجال ، أو العالم الدجال ، أو الشيعى الدجال .. فالدجل نعت لسلوك شخص خرج عن الوقار والجادة ، ولا ينبغى أن ينسحب على الإسلام أو السنية أو العلم أو الشيعية .. لذلك فوصف المنقول عنه «الكبيرة» التى تلصق بالفاروق عمر بن الخطاب نقيصة هائلة بأنه شيعى ، ينطوى على تجاوز يكشف عن «الغرض الصغير» لارتكاب هذه الكبيرة ، وهو فيما ظن العنوان غير المغفور أنه ضرب للمذهب الشيعى !!

وبغض النظر عن السياسة وأغراضها ، فإن المذهب الشيعى فيما لا يعرفه المانشيت المتورط فى هذه الكبيرة، ومثلها كثير فى رجم كبار الصحابة بداخل العدد، مذهب ينتمى إليه قرابة نصف أعداد المسلمين، منهم المغالون ومنهم المعتدلون .. ولكن المذهب الشيعى بعامة ليس بخارج الإسلام أو عن الإسلام ، ويجرى تدريسه للآن فى الأزهر الشريف موئل أهل السنة ، ويدرس أيضا بكليات الشريعة وضمن مواد الشريعة الإسلامية بكليات الحقوق .. أما الجنوح فيه ، ناهيك عن الدجل ، فهو قدر على كل المذاهب والديانات والملل والنحل .. فلا يحسب الجانح أو الشارد على الدين أو الملة أو المذهب ، وإنما يحسب عليه هو فقط جنوحه وشروده .. وهذا ما نردده كل يوم لمن يأخذون الإسلام عمدًا أو جهلا بشرود أو جنوح بعض المنتسبين إليه !

الغرض الصغير هو تصور أن الضرب فى المذهب الشيعى يرضى السياسة ، وهو غرض لا يبرر على أية حال ارتكاب كبائر القذف ولو بالنقل فى الفاروق عمر بن الخطاب وكبار الصحابة .. ثم هو غرض ضرير ، يذكى الخلافات والاحتقانات والثارات ، ويفرق ويشتت ولا يجمع أو يوحد .. إن بين الشيعة وأهل السنة علماء عقلاء حكماء شكلوا معا منذ منتصف القرن الماضى جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، سعت وتسعى على مدار السنين للتقريب بين السنة والشيعة ، لجمع كلمة المسلمين الذين يعبدون إلها واحدا ، ويؤمنون بكتاب واحد ، وبرسول واحد ، ويتجهون إلى قبلة واحدة !

كان بوسع المجلة القومية ، وقد نشرت فى السالف مقالات وتحقيقات صحفية عن جماعة التقريب بين السنة والشيعة وأعمالها وعلمائها ، أن تجدد الحديث فى هذه الاتجاه ، وأن ترد الجانح من هنا أو هناك إلى الإسلام الواحد ، وإلى اتفاق السنة والشيعة فى الأصول والكليات .. وأن ترد على الدجال دجله دون أن تتورط فى الترويج للسب والقذف فى حق عمر بن الخطاب وكبار الصحابة بأبشع وأقذع الشتائم التى إن كان قد استمع إليها العشرات على لسان من وصفته المجلة بالدجال ، إلاَّ أنها قد حملتها هى إلى عشرات الألوف ، فضلا عن إطلاع الملايين عليها فى قابل الأيام فيما صدّرت به المجلة غلافها وضمنته صفحاتها من نعوت هائلة تدخل فى باب السب والقذف ، وازدراء الأديان !

كم من الكبائر ترتكب استهدافًا لأغراض صغيرة ضريرة ؟!!!

*****